السيسي لعبها صح

السبت 24 ديسمبر 2016 11:12 م

كتب: وائل قنديل

وائل قنديل :

هل نسي نظام عبد الفتاح السيسي نفسه، أو فقد ذاكرته، مساء الأربعاء الماضي، حين تقدم مندوبه لمجلس الأمن بمشروع قرار يدين الاستيطان الصهيوني ويطالب بإيقافه؟!

هل كانت لحظة طيش من الجنرال، هدية السماء للشعب المختار، وبطل إسرائيل القومي، بتعبير معلق الشؤون السياسية في صحيفة "هآرتس" آرييه شافيت؟

شافيت كتب، عقب انقلاب 30 يونيو/ حزيران 2013، أن "الجنرال عبد الفتاح السيسي هو بطل إسرائيل، فلا يحتاج المرء أن تكون لديه عين ثاقبة بشكل خاص حتى يكتشف حجم التشجيع العميق والإعجاب الخفي الذي تكنه النخبة الإسرائيلية تجاه قائد قوات الجارة الكبرى من الجنوب، الذي قام للتوّ بسجن الرئيس المنتخب الذي قام بتعيينه في منصبه".

هل تذكر السيسي، فجأة، أن مصر دولة عربية، فاتخذ قراره بالتطهر، ناهضًا من الفراش الإسرائيلي، الوثير، مديرًا ظهره لجمهوره الصهيوني العريض؟!

ثم هل اكتشف السيسي خطأه، ظهيرة اليوم التالي، الخميس، فأمر مندوبه بسحب مشروع القرار، عقب اتصال من الكفيل، الدائم، بنيامين نتنياهو، سبقته"تحميرة عين" من اليميني المتصهين دونالد ترامب؟

هل عاد السيسي إلى صوابه، بعد شدة أذن، أميركية إسرائيلية، جعلته ينحني، معتذراً، تائباً مستغفراً، مدعياً ـ مثلاً ـ أنه لم يكن يعلم بمشروع القرار، وفور علمه به، أوقف هذه المهزلة؟

لا أظن أن شيئًا مما شاهدته على شاشة مجلس الأمن، وما دار في الكواليس بين (ترامب ـ السيسي ـ نتنياهو) كان عفوياً وارتجالياً، بل الأقرب للواقع أننا عشنا فاصلاً درامياً مثيراً، كُتب بعناية فائقة، وتم إخراجه ببراعة، وقدّم فيه السيسي واحداً من أهم أدواره، على نحو يذكرك بسينما عادل إمام ووحيد حامد، التي محورها بطل صعلوك يريد الاقتراب من عالم الكبار، ليس ليكون كبيراً، وإنما ليقضم قطعة "هبرة" من اللحم والثروة والنفوذ

في "طيور الظلام"، أدى عادل إمام شخصية المحامي الانتهازي، اللعيب، الذي وصل إلى ما يريده من كبار الفساد السياسي والمالي، عن طريق ابتزازهم، بالتلويح بفضح أسرارهم، وإزعاجهم اجتماعيًا، فألقوا إليه ببعض مما يملكون، وقربوه منهم، لترويضه واستئناسه

يمكن، كذلك، أن تجد تفسيرًا للمغامرة السيسية، المحسوبة، في مجلس الأمن، في عالم انتخابات المجالس البرلمانية، والمحلية، المصرية، والتي ينتظرها بكل اللهفة والشوق ثلاث فئات بالمجتمع: البلطجية، الذين يبيعون خدمات حماية المرشح من خصومه، والقيام بمهام تمزيق لافتات دعايتهم، وتقفيل لجان الاقتراع في وجه أنصارهم ثم فئة "الهتيفة" من مؤجري الحناجر ومؤلفي الشعارات الانتخابية وأخيرًا، وهي الأهم والأخطر، فئة المنافس المعطل والمهدد لفرص الكبار في الحصول على الأصوات، وذلك بأن يأتي شخص هزيل، عديم الوزن السياسي والمجتمعي، ويعلن عن ترشحه ضد واحد من الكبار، فيسارع الأخير لمراضاته وشرائه، ثم تكون النهاية السعيدة بإعلان المنافس"الدوبلير" تنازله عن الترشح، وانخراطه في ماكينة دعاية المرشح الكبير

قبل زوبعة مشروع القرار المصري في مجلس الأمن، كان عبد الفتاح السيسي يغني "إني أغرق" على صفحات"فايننشال تايمز" وهو يلوح، لمن يهمه الأمر، بأن شعبيته تتراجع، وبأن موضوع بقائه رئيساً لفترة قادمة غير محسوم، وبالتزامن مع التصاعد الدرامي في موضوع القرار المصري لإدانة الاستيطان، صرخ السيسي في افتتاح مجمع طبي للقوات المسلحة"الحقوني ظروف البلد صعبة وكل واحد يمد إيده يحط حاجة".

السيسي كان في لحظة يستشعر فيها خطر الانهيار، أكثر من أي وقت مضى، فالكبار الإقليميون غاضبون، متوقفون عن وضع المزيد من المال في جيبه، وملء المزيد من الصحون بالأرز فوق مائدته، بل وصل الأمر إلى مرحلة ما يشبه الإجراءات التأديبية على غدره، وتلاعبه، فكان لابد من مخاطرة، مدروسة بعناية، للاقتراب والاحتماء بمن هم أكبر من الكبار، أميركا وإسرائيل، وخصوصاً مع صدمة أوساط السيسي من التقارب الروسي - التركي في لحظة كانوا يظنون أنها لحظة الابتعاد والفراق، عقب اغتيال سفير موسكو في أنقرة

الاقتراب من الكبار في دراما الصعاليك يتطلب تكتيكات ومهارات، ذلك أنهم لا ينتبهون لوجود الصغار إلا إذا أحدثوا بعض الشغب، وأثاروا كثيرًا من الصخب، ولوحوا بنزق سلوكي، قد يمثل خطورة على مصالحهم، أو إحراجاً لهم، فيكون الحال ترضية الصعاليك المتمردين، باتصال هاتفي حميم، ثم دعوة على العشاء في البيت الكبير، مع وعود بشيء من الفخفخة والنغنغة، تمتلئ معه الثلاجة بما لذ وطاب، ويصبحون في معية "الفتوات" وتحت حمايتهم، إلى حين

وأيضًا، يمكنك أن تقرأ رقصة السيسي في مجلس الأمن على ضوء المثل الشعبي الذي يقول "أبعد حبة تزيد محبة"، ذلك أن التلويح بالهجر، قد يشحن بطاريات الغرام، ولو بشكل مؤقت؛ فالطريق للطواف بالبيت الأبيض باتت ممهدة، وهاهي قطعان المستوطنين تهتف "بنحبك يا سيسي"، فيما يزداد يقين الحاخامات، بأنه الجائزة الكبرى للشعب المختار

المقال يعبر عن رأي كاتبه، ولايعبر بالضرورة عن رأي نافذة مصر